Journal Homepage: -www.journalijar.com

INTERNATIONAL JOURNAL OF ADVANCED RESEARCH (IJAR)

Article DOI: 10.21474/IJAR01/22689
DOI URL: http://dx.doi.org/10.21474/IJAR01/22689

RESEARCH ARTICLE

LES CHEFFERIES RELIGIEUSES AU SENEGAL ET LEUR ROLE DANS LA RESISTANCE CULTURELLE STRATEGIES ET RESULTATS

Ahmedou Ndack Lo

Manuscript Info

Manuscript History
Received: 14 November 2025
Final Accepted: 16 December 2025
Published: January 2026

Resume:

L'une des premieres decisions prises par l'administration coloniale apres son installation a ete de combattre la culture islamique, en essayant d'arreter l'activite des ecoles coraniques, par la negligence du rôle des maitres coraniques qui en avaient la charge. Le plus grand objectif que l'administration coloniale aspirait a atteindre est le denigre ment du nationalisme, afin de creer le complexe d'inferiorite dans l'ame du citoyen africain cible, pour le preparer a servir ses propres interets. Il fait de son mieux pour imposer l'education occidentale, ce qui a incite les chefs religieux du pays a reflechir a developper des strategies pour contrer ce plan administratif. Parmi les manifestations de la resistance culturelle au Senegal figurant la creation d'ecoles coran iques, de centres educatifs et de mosquees, et de zawiyas soufies, ainsi que d'inciter les grandes parties de la population a boycotter l'ecole coloniale, et de s'eloigner de leurs habitudes et comportements. Aujour d'hui, un siecle et demi apres toutes les politiques mises pour contrer la culture islamique, l'Islam s'est repandu dans toutes les provinces du Senegal, et le soufisme a triomphe dans tous les milieux sociaux, grace a Dieu et au devouement des leaders de la resistance culturelle.

"© 2026 by the Author(s). Published by IJAR under CC BY 4.0. Unrestricted use allowed with credit to the author."

المقدمة:

يعتبر التحرر من الاحتلال الأجنبي مطلب كل شعب مستعمَر، ولا يتحقق التحرير إلا بالنضال والتضحية. فالاستعمار الفرنسي قدِم إلى بلادنا بدون دعوة، وسيطر على أراضينا، فنهب وزيّف وغيّر كل المعالم الدينية والاجتماعية، وفرض لغته وثقافته، ولم يكتف بذلك وإنما جثم على صدور أبناء الوطن ومفاصلهم، بالتعاون مع لفيف من المواطنين الضعفاء الذين كانوا يجهلون حقيقة الخطر المحدق بالبلاد، وما يمكن أن يسببه التواطؤ مع الغازي الأجنبي من ضياع الوطن وهُوَية أهله. وهذا الوضع المخزي كان يتطلب بروز قيادات وطنية غيورة على مستقبل الوطن وأهله، تتحمل مسؤوليتها لوضع استراتيجيات من أجل إنقاذ الوطن من انهيار محقق، فكان لزاماً عليها أن تبتكر أساليب غير تقليدية لمواجهة سياسات التغريب الممنهجة.

إشكالية البحث

تتحدد إشكالية البحث في السؤال الآتي:

ما هي الأسباب التي دفعت بالقيادات الدينية السنغالية إلى التفكير في وضع خطط لمواجهة مخططات الاستعمار الفرنسي وسياساته التغريبية، وما هي الاستراتيجيات غير التقليدية التي ابتكروها، ومدى نجاح تلك المقاومة؟

فرضيات البحث

وبعد تحديد الإشكالية يمكن أن نستخلص منها الفرضيات التالية:

Corresponding Author:-Ahmedou ndack Lo

1. أن الاستعمار الفرنسي قضى على كل الثورات والحركات الوطنية، ما يفقد الأمل في نجاح المقاومة العسكرية، نتيجة عدم تكافؤ موازين القوة بينهم والإدارة الاستعمارية.
2. الثقافة الإسلامية والتقاليد الاجتماعية الموروثة مهمشة منذ بداية الاحتلال، ولا يمكن لأي قوة أن تدفع العقارب إلى الوراء.
3. موقف الإدارة الاستعمارية تجاه التربية والتعليم الإسلاميين غير قابل للتغيّر مهما يكون الأمر.

أهداف البحث

إن هدفنا من هذا البحث هو تعريف المقاومة الثقافية ودورها التاريخي في تربية وتكوين أبناء المجتمع السنغالي، وصون تراثه الديني والثقافي خلال فترة الاستعمار وبعدها. ومن خلال ذلك إظهار الإيجابيات المتعددة التي تجعلها جديرة بالدراسة، ومن ثم بلورتها حتى تعم الفائدة. وفي النهاية المساهمة في إعادة كتابة تاريخ بلادنا المصوغ بأقلام استعمارية، ومن تشبع بالثقافة الغربية. ولذلك نسعى إلى تحقيق الآتي:

1. حث سلطات التربية والتكوين السنغالية على الاهتمام بالإرث الثقافي المحلي وغربلة المناهج الموروثة من عهد الاستعمار.
2. رصد ميزانيات مناسبة وتوفير آلياتتسهّل عملية تغيير المناهج والانتقال السلس إلى البرامج الجديدة.

أهمية البحث

مما يؤكد أهمية هذه الدراسة أنها تسعى إلى تحقيق عدة أمور، هي:

1. كشف حقيقة أسلوب المستعمر في تكوين شباب المستعمرات.
2. بيان موقف الاستعمار من اللغة العربية والثقافة الإسلامية في السنغال.
3. إظهار الدور الكبير الذي لعبه مشايخ الطرق الصوفية والحركات الإسلامية بالسنغال منذ أيام الاحتلال الأجنبي، والنتائج التي تحققت للمقامة الثقافية بفضل الله وتضحياتهم الجسيمة.

منهجية البحث

إن المنهجية التي سنتبعها في كتابة هذه المقالة هي المنهجية التاريخية الوصفية ويتم من خلالها استعراض الأمثلة واستقراءها بقصد توضيح الأسباب التي دفعت حملة الثقافة العربية الإسلامية إلى اللجوء إلى استخدام الوسائل الثقافية المتنوعة لمقاومة الفكر الاستعماري المستند على تزييف الواقع الديني والثقافي للشعوب المستعمرة، مع بيان كيفية المحافظة على المكتسبات الحضارية، وحث السلطات على ضرورة إحداث تغيير جوهري في المناهج الدراسية التي بواسطتها مررت الإدارة الاستعمارية سياستها التغريبية.

هذا وسنستخدم في هذا البحث لفظ "المقاومة الثقافية" للدلالة على الأساليب التي استخدمها المناضلون من مشايخ الطرق الصوفية وغيرهم للمحافظة على هوية المجتمع المسلم في كل مناطق البلاد، وذلك لعدة أسباب، منها: عدم توفر الشروط الضرورية لإعلان الجهاد في تلك الأيام، لكون أمر الاستعمار مستفحلاً، ويزاد على ذلك أن ميزان القوى لم يكن متكافئاً، لكنهم لم يستسلموا للأمر الواقع وإنما وضعوا مخططات يبدو في شكلها أنها لا تفي بالغرض، لكنها كانت فعالة، وهي الاهتمام بالفرد وتكوينه ذهنياً وثقافياً.

وقد قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة وعرض وخاتمة، حددنا فيه مفهوم المقاومة الثقافية وتاريخها والاستراتيجيات التي أُستخدمت من قبل كل من الإدارة الاستعمارية والقيادات الدينية، لإنجاح مخططات التغريب بالنسبة للطرف الأول، والعمل للحيلولة دون تحقق هدف الإدارة الاستعمارية من الطرف الثاني.

ويكاد المؤرخون وعلماء الاجتماع المختصون في شؤون المستعمرات الأفريقية السابقة أن يُجمعوا على أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية وإن ورّثت مستعمراتها السابقة بعض المعارف المتعلقة بالتطوير، وتنظيم أمور الحياة وإدارة شؤون الدولة، فإنها لم تقدم للشعب السنغالي المسلم ونظيراته بالسودان الغربي بديلاً مقبولاً في النواحي الثقافية والحضارية، وإنّ القليل من التكوين الذي وفّرته لعيّنة مستوعبة من أبناء الشعب السنغالي خلال العهد الاستعماري هدفه مسخ الشخصية الوطنية وخلق مركب النقص في نفس المواطن، تمهيداً لخدمة مصالحها الذاتية. وهنالك عدة محاولات لفرض التعليم الغربي، لكنه قد قوبل برفض تام من قبل الأهالي. وللنجاح في مشروعهم التوسعي انتهج المستعمرون أسلوباً آخر، ألا وهو التظاهر بالانصياع لرغبة السكان المسلمين؛ وذلك بدمج مواد عربية - دينية مع الفرنسية لجذبهم إلى المؤسسات الرسمية. وفعلاً قد تمكنوا من استقطاب شريحة معينة من المهتمين، لكن سرعان ما يُكتشف أن ذلك لم يكن إلا مجرد خدعة وأسلوب استعماري لا يستند إلى أسس نزيهة.

ومن أبرز الآثار السلبية التي خلفتها الاستعمار في دولنا: تمكين طبقة من المثقفين المستوعبين والمنهزمين فكريا على حكم البلاد بعد انسحابها، ما أوقعها في أزمات أخلاقية وثقافة خانقة، لم تزل السلطات تبحث عن وسائل للخروج منها، وذلك منذ الاستقلال. وكل خطة مستقبلية تستهدف معالجة التدهور الحاصل في المجتمع نتيجة غياب الوازع الديني والأخلاقي، لا بد وأن يخصص لها حيزا لقراءة تاريخ المقاومة الثقافية ودورها في المحافظة على الهوية والتراث الإسلاميين ذلك من أجل استلهام تجاربها فيما يخص تأهيل وتكوين الشباب. نعم إن للحكومة السنغالية برنامجا طموحا لإعادة كتابة التاريخ والتربية الدينية على وجه الخصوص. إن إعادة كتابة التاريخ المحلي وغربلته من كل الشوائب العالقة جد مهم، لكنه إذا جردت من بعض الدراسات التي أهمها: المقاومة الثقافية التي يمكن أن تعتبر بمثابة الصندوق الأسود الذي سجل فيه كل البيانات التي ستفيد في هذه المرحلة التي نبحث فيها الحلول الناجعة لما نحن فيه من الأزمات الخانقة.

1 - تحديد مفهوم المقاومة الثقافية:

نعنى بالمقاومة الثقافية تلك الجهود التي بذلها مشايخ الطرق الصوفية والحركات الإسلامية من أجل المحافظة على التراث الإسلامي وهوية الشعب السنغالي من خلال التربية والتكوين. ويشار إلى أن عدداً كبيراً من القيادات الدينية قد تصدوا للاستعمار عسكرياً، وأبرز من أعلن الجهاد بعد انقراض دولة الأئمة، ونازل الاستعمار الأجنبي الحاج عمر الفوتي تال (ت 1864 م)[1] وأحمد محمد باه المعروف مهدي تورو (ت 1875 م) [2]، حيث خلّف الأول

[1]- هو أبو حفص عمر تال الفوتيالطوريالحلواريالكدوي، فوالده هو سعيد بن عثمان بن مختار بن سمب، ينتمي من طرف والديه إلى أسرة علمية ودينية محافظة. كان عالماً تقياً ورعاً زاهداً ومتوكلاً، حافظاً لكتاب الله تعالى، مجاب الدعاء.

[2]- هو حمّى بن علي بن موسى بن محمد بن دميس بن عبد النعيم بن عبد الوهاب بن إبراهيم، وينتهي نسبه إلى الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله ﷺ.

بعد استشهاده في دكمْبِري Dogombéréبجبال بانجارا Bandiagara[3]إمبراطورية واسعة شملت معظم أقطار السودان الغربي، واستحوذ الآخر على مساحات شاسعة من بلاد الجولُوف Djolofو كاجُور Kadjor[4]، لكنه استشهد قبل اكتمال مشروعه.

هذا عن الوضع في داخل فوتا تورو، أما في المستوى الخارجي، فقد برز زعماء كثر، من أبرزهم: الشيخ أحمد باه المشهور بـ ماباجَاخُو باه MabaDjakhou Ba(ت 1878م)[5] والشيخ محمد الأمين درامي (ت 1887 م) [6]، وقد نجح الأول في إقامة إمارة إسلامية في وسط غربي السنغال، ومنطقة باديبُو Badibouالواقعة على حدود السنغال وغامبيا، بينما الثاني وفق خلال ظرف زمني قصير جداً لم يتجاوز السنتين في الحفاظ على الهوية الإسلامية لمنطقته غِيدِيماخا Guidimakhaالواقعة في شمال شرقي السنغال، حيث قارع الاستعمار الفرنسي، ملقناً إياه دروساً في المقاومة لن ينساها التاريخ[7]، وهكذا رأينا أن أصداء الثورة الإسلامية في فوتا تورو قد وصلت إلى كل مناطق السودان الغربي، فأصبحت هي المورد الذي يزودها بكل ما تحتاج إليه من رجالات السياسة والفكر والمقاومة وذلك ما فسر وجه الشبه القائم بين التجربة التي عاشتها دولة الأئمة في فوتا تورو وتجارب الحركات السياسية والدينية التي نشأت في المنطقة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي [8]. وبالرغم من كل الجهود التي بذلها المستعمرون ومحاولات المتأثرين بمشروعهم التخريبي الهادف إلى محو كل الآثار الإيجابية التي خلفها المجاهدون، فإن القطيعة الكاملة لم تحدث نتيجة بروز قيادات دينية ووطنية عبرت عن معارضتها الشديدة للمخططات الاستعمارية، واستعدادها للوقوف سداً منيعاً للحيلولة دون تحقق ما كانوا يصبون إليها، بطريقة سلمية وسيلتها التعليم والتكوين، ومن أشهرهم: الشيخ الحاج مالك سهالتواوني والشيخ أحمدو بامباامباكي والحاج محمود باه مؤسس حركة الفلاح. ومن خلال هؤلاء المشايخ الثلاثة نؤكد بأنه وجدت فعلاً ثلة من أبناء الوطن، كان لديهم الوعي الكامل والمعرفة التامة لمجريات الأحداث والظروف الجيوسياسية المحيطة بهم، بمعنى أن الجهاد المسلح لم يكن الخيار الأفضل في تلك الأيام نتيجة تمكن الاستعمار وسيطرته على مفاصل كل مناطق البلاد، رغم الأخطار المحدقة بالبلاد .

2 - تاريخ اللغة العربية في السنغال والسودان الغربي

بالرغم من التحديات الكبيرة التي واجهتها القيادات الدينيةمنمحاولاتلإزاحة وحجب اللغة العربية عن الساحة الثقافية والاجتماعية فإن المدرسة القرآنية ظلت صامدة وشامخة، حيث استمرت تلعب دورها على أحسن وجه، وتمكنت من خلال تعلق الأهالي بها من نشر اللغة العربية التي هي وعاء القرآن الكريم،[9]

وقد ارتفعت نسبة التعليم بين السودانيين الغربيين بعد قيام دولة المرابطين، واهتمام زعمائهم بفتح المدارس والمراكز العلمية التي ارتبطت منذ البداية ارتباطاً وثيقاً بالدين الإسلامي، حيث ألحقت بالرِبطة التي كانوا يقومون فيها للتربية والتكوين والتعبد. فكان شيخهم عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن الكريم ويدرسهم السنة والشريعة حتى صار حوله الفقهاء، ولما خرج برفقة أتباعه من رباط السنغال بدأوا يلحقون المدارس بالمساجد، فكان إلى جانب كل مسجد غرفة أو أكثر لتعليم الأولاد، بالإضافة إلى ما يشيده داخليات عصراً لهذا النوم للطلاب الذين يأتون من الجهات النائية.[10]

وينبغي ألا يُستغرب لارتباط المنهج الدراسي منذ تلك الحقبة بالدين الإسلامي في مدارس دول جنوب الصحراء، ذلك لكون الغاية الجوهرية التي يهدف إلى تحقيقها مسئولو التعليم عبر العصور هي فهم الدين والتفقه في علومه، من أجل إعداد المواطن الصالح، ولا يتأتى ذلك إلا بالاهتمام بتربية النشء وغرس الأخلاق النبيلة المنبثقة من تعاليمه في نفوسهم منذ نعومة أظفاهم[11]. ولعل السبب في نبوغ متعلمي دول جنوب الصحراء بالعلوم العربية يرجع إلى اعتبارتعلم اللغة العربية واجبا دينياً بدونه يستحيل عليهم تطبيق الشعائر الدينية كما يجب، مثل الصلوات وما يُقرأ فيها من الآيات، ناهيك عن فهم الأوامر والنواهي التي يأمر بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، زِد على ذلك أن اللغة العربية كانت في تلك الآونة لغة العلم والثقافة والمراسلات في المنطقة، حيث كانت الطبقة الراقية من سكان المدن تتعلمها للضرورة. في الوقت الذي كانت دراسة القرآن وحفظه يتعديان حدود المدن ومحيط الطبقة الراقية إلى القرى وجميع شرائح المجتمع. [12]

3- توجد في منطقة ماسنا وسط جمهورية مالي.

4- تقعان ضمن حدود جمهورية المنطقة في الوسط الغربي منها.

5- ولد تفسير حم به المشهور عند الولف وماباديا خو باه في حدود العام 1809م في قرية توا التي أسسها والده انجوغو باه Ndiogou Ba

6- اسمه الحقيقي مالامينديمباديباسي، لكنه اشتهر بـ محمد الأمين. ولد سنة 1840م بقرية جونديروا - Goundiourou الواقعة على بعد عدة كيلومترات جنوبي مدينا - عاصمة خاسو – Khasso الواقعة داخل جمهورية مالي الحالية. نشأ في أسرة متدينة محافظة امتهن أفرادها العمل في وظائف التعليم والقضاء والإرشاد ومثلها.
ويؤكد ذلك أن والده كان قاضياً وواعظاً ومرشداً ومتميزا، نجح في تطبيق بعض أحكام الشريعة الإسلامية في قريته.

7- انظر محمد سعيد باه: دولة الأئمة في فوتاوتورو تجربة إسلامية على ضفاف نهر السنغال (إحدى أنجح محاولات إحياء الدولة الإسلامية). رسالة غير مطبوعة مرجع سابق، ص93.

8- انظر محمد سعيد باه: دولة الأئمة، المرجع السابق نفسه، ص95.

9- انظر خالد عبد المجيد مرسي: المرجع السابق، ص 51. وعصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلامي غربي أفريقيا، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط 1 - 1988، ص 14. وعبد الحي عبد الحق: القرابة اللغوية في غرب أفريقيا، دون تاريخ ر.، ط1997، ص 09.

10- انظر عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص167.

11- آدم عبد الله الألوري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ط 1- 1971، ص 144 نقلاً عن أحمد محمد البدوي في كتابه: أوراق عربية من صكتو، منشورات جامعة قاريونس.

12- انظر جورتي سيسي: المرجع السابق، ص18.

وما يؤكد حب السودانيين الغربيين للعلوم العربية أن شرائح من أسر العلماء ورجال الأدب اتجهت إلى تعلّم قواعد اللغة العربية كأبناء العرب، حتى ظهر من بينهم من إذا كتب أو خطب حسبته عربيًا قحًا. ويُعتبر ذلك كله نتيجة تأثير أمم السودان الغربي الكبير بالإسلام وثقافته، وقد أقبلوا على الدراسة بشغف ونهم، حتى قورن حبهم للعلوم اللغوية بحب المغاربة لها. فـ"انتقل حب المغاربة للنحو والصرف إلى الإفريقيين، حتى رأينا أن كتب النحو حملها الأساتذة العرب إلى أفريقية الغربية، فبما أدخلوه إلى تلك الأصقاع[13]". ويُذكر أن المناهج الدراسية المغاربية التي كانت تُستعمل في المؤسسات التعليمية بإفريقيا الغربية كانت تُستهلك كما هي. ونادرًا ما كانوا يُخلّون فيها تعديلات، اللهم إلا فيما يتعلق بنظم المنثور تيسيرًا للمتعلّمين. وكان ضمن الهدايا التي أتى بها الشيخ مختار نومب جوب مؤسس قرية كوكي ومدرستها العريقة، والذي قام سبطه مور خخلمب جوبMorKhoudiaCoumbaDiopبإعادة نظم كتاب مقدمة في النحو لابن بونة الجكني[14] في أربع مائة وتسعة وستين بيتًا[15]، وذلك تسهيلًا على طلبة مجالس العلم، الذين استفادوا منه استفادة لم يسبق لها مثال في أي كتاب آخر ألفه عالم سنغامبي، حيث وجد فيه القراء ضالتهم المنشودة. هذا ما ذهب إليه جل الباحثين الذين تناولوا تاريخ كوكي في أبحاثهم، وقد سماه ناظمه هدية المجيد، وعرف بعد نظمه عند العامة بـ مقدمة الكوكي، نسبة إلى قرية ناظمها. قال في مستهلها:

فـــــرمدت نظم هذه المقدمةلشيخـــــنا بن بونه خذها محكمة
سميتها هـــــدية المجيـــــدفي النحـــو أو معـــونة البليـــــد
جعلته فاتحـــة الإعـــــراب للمبتـــدئ كافـــيـــة الطـــــلاب
إلى أن قال:

أبياتـــها أصـــبتها[16] إن تعـــــدد وانفـــع بـــه يا رب كـــل مبتـــدي

وقد قارنها – بسبب فائدتها الجمة وسهولة أسلوبها – كثير من علماء اللغة العربية في بلاد كجور على وجه الخصوص – بألفية بن مالك[17].
إن الإدارة الاستعمارية تمادت في إنكار الثقافة للشعوب المستعمرة، ويتمثل كل ما في وسعها من أجل تحويل الجوانب العلمية والإيجابية، في حياة الشعوب، مستخدمة في سبيل تحقيق ذلك أساليب ذكية، تمثلت في عزل كل المؤثرات الثقافية الفعالة - وفي مقدمتها المدارس والمراكز الإسلامية - عن حياة الناس، وحصارها أو توجيهها. فأقامت مدارس مزدوجة اللغة - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - زرعت منها الروح الدينية التي تُزرع في التلاميذ الشعور بالذات، وتُربى فيهم الأخلاق الحميدة ورفض الظلم والهيمنة. ولم يكتفوا بذلك وإنما استخدموا كل وسائل التهديد والإرهاب التي في جعبتهم، لإجبار السكان على الأخذ بالثقافة الاستعمارية. فهذا هو الكاتب المارتينيكي (فرانز فانون - Frantz Fanon) (ت عام 1961م) يصف وضع الثقافات الوطنية إبان العهد الاستعماري بقوله: "إن الثقافة الوطنية هي في ظل السيطرة الاستعمارية ثقافة مجمدة، تابع الاستعمار تحطيمها متابعة منظمة، وسرعان ما تصبح مضطرة إلى التغني والمراثي. فالمستعمر يرى في استمرار على الأشكال الثقافية التي يستنكرها مظهراً قومياً، عليه أن يحاربه"[18].

معركة عزل التعليم العربي الإسلامي
عمدت السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى وضع ترتيبات إدارية خاصة لتطويق مصادر الجهاد الإسلامي والثورات الوطنية في البلاد المستعمرة، فوضعت على قائمة أولوياتها مدارس تحفيظ القرآن الكريم التي كانت تشكل في وجهة نظرها أكبر الأخطار التي ستحول دون تحقيق أهدافها، ومن ثم أصدرت - وفق جدول زمني طويل النفس، خطط للمدى البعيد - قانون 22 (يونيو) 1857م، والذي تنص المادة الخامسة منه على إلزام معلمي مدارس القرآن الكريم بإرسال أو اصطحاب تلاميذهم البالغين سن الثانية عشر فأكثر إلى مدارس الرهبان البيض الكاثوليكية، أو العلمانية. وذلك لمدة ساعتين يومياً. وقد اتخذت الإدارة والاستعمارية هذه الخطوات، لما وصلتها شكاوى القائمين على المدارس التنصيرية الكاثوليكية أو العلمانية. ذلك لمدة ساعتين يوميا. وقد اتخذت الإدارة الاستعماري هذه الخطوات، لما وصلتها شكاوى القائمين على المدارس التنصيرية الكاثوليكية والعلمانية التي كانوا يظهرون فيها عجزهم عن تسجيل أي فرد في مدارسهم، وذلك لعدم التفات السكان إلى تلك المدارس الغربية عليهم. ومن هنا نعرف أن إقبال أطفال بعض الأهالي إلى تعلم لغة المستعمر لم يكن ليتحقق إلا بعد فرضها عليهم فرضاً، باستعمال العصا الغليظة. [19]
وفي العام 1896ف أصدرت الإدارة الاستعمارية قراراً آخر ينص على غلق المدارس العربية في السنغال خلال الأوقات التي تفتح فيها المدارس الحكومية العلمانية أو التنصيرية الخاصة، لأن الكتاتيب القرآنية تجذب إلى نفسها جل الأطفال، وتحول بينهم وبين الذهاب إلى المؤسسات التعليمية الاستعمارية، إذا تزامن موعد فتحها مع المدارس الاستعمارية. [20]

وكان الهدف الأساسي الذي خطط الاستعمار لتحقيقه، من خلال برنامجه التثقيفي العام هو انتزاع الشباب المسلم من أحضان المدرسة القرآنية، إلى فضاء اللغة الأجنبية وثقافتها لكي يتقبل ما أسماه المستعمرون بالحضارة الغربية الراقية، وأخلاق الأوروبي المتنور، وطرق عيشه الموافق للزمن.

13- نعيم فداح: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع/ الجزائر، ط2 - 1974، ص 161.
14- هو الشيخ المختار بن سعيد المعروف بابن بون الجكاني، كان نحوياً لغوياً بيانياً منطقياً، مدرساً للعلوم العربية، له تواليف عديدة، منها: مقدمة في النحو ألفها للمبتدئين، كان حياً في عام 1208 هـ. (راجع البرتليالولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، دار الغرب الإسلامي، ط1 - 1981، ص 141- 142).
15- كان الكتاب في أصله منظوماً، لكن كثيرين من الباحثين ظنوا أنه كان منثوراً فنظموه، وهو خطأ متوارث. (الباحث).
16- تعني حروف هذه الكلمة حسابياً 469.
17- للمزيد من المعلومات يُراجع بحث الأستاذ شيخ عمر دمْ: مقدمة الكوكي لمور قجكومبا جوب، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير/ كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس ص6-7.
18- معذبو الأرض، تر. د. سامي الدروبي وآخر، دار القلم/ بيروت، د.ر. ط ولا ت.ط ص157.
19- انظر مهدي ساتي: دارات تحفيظ القرآن الكريم في السنغال، مجلة دراسات أفريقي، ع87/ 1990- 1991، ص 30.
Mamadou Ndiaye: L'enseignement**araboislamique au Sénégal**, centre de recherche sur l'histoirel'art et la culture islamique/ Istanbul- 1985, P 96-97.

20- انظر الهادي المبروك الدالي: الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب أفريقيا، دار صنين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 - 1996، ص 111.

ولما ينسوا من إقناع أولياء أمور الأطفال على جدوى توجيه أبنائهم إلى المدارس الفرنسية، فتحوا مدارس مزدوجة عربية ـ فرنسية، وذلك لاستقطاب الأسر المسلمة الرافضة للتعليم الاستعماري. ووجود اللغة العربية ضمن مواد الدراسة في المدارس العامة جذب بعض أرباب الأسر المحافظين. [21]

وفي تقرير بعث به (لويس فيدرب - Faidherbe) [22] حاكم السنغال في منتصف القرن التاسع عشر الإفرنجي إلى وزير المستعمرات في باريس، أبدى فيه استغرابه للرغبة الجامحة التي يبديها الزنوج في تعلم اللغة العربية. ويستدرك قائلاً: أن ذلك مصيبة كبرى على الاستعمار، ووجوده في المنطقة. وطالب بإلحاح في عدم تنمية هذه الرغبة إلا عندما يتعلق الأمر بدارسة اللغة الفرنسية، والعمل على تشجيع كل ما يحول دون انتشار اللغة العربية في السودان الغربي[23]. ويُذكر أن (فيدرب - Faidherbe) هذا هو واضع الركيزة الأولى للتعليم الفرنسي في السنغال، حين أسس عام 1855م مدرسة أطلق عليها اسم "مدرسة الرهائن - Ecole des otages" وهي مخصصة لتدريس أبناء ورؤساء القبائل المناوئين للغزو الاستعماري. وقد زودت بنظام داخلي والتعليم فيها كان مجانياً. كما أنشأت مدرسة مماثلة فيما بعد، خُصصت لبنات رؤساء القبائل السالف ذكره[24]. ولم يكتف بذلك وإنما أصدر ـ لتكريس الاستعمار الثقافي ـ قرارات مجحفة في حق الثقافة الإسلامية، والقائمين على المدارس القرآنية، يتمثل أبرزها في الآتي:

- أنه من تاريخ صدور القرار في 22 الصيف (يونيو) 1857م، لا يستطيع أي شخص أن يباشر مهنة التعليم في الكتاتيب القرآنية، بدون ترخيص خاص، يمنحه الحاكم العام للبلاد للأشخاص الذين توافرت فيهم الشروط الصعبة التي حددوها هم. فمثلاً مدينة دكار العاصمة الحالية للسنغال، تمنح رخص التدريس في كتاتيبها للأشخاص المترشحين الذين هم من دكار، أو من الذين أقاموا فيها لمدة لا تقل عن سبع سنوات.
- لا يتحصل أي شخص على الرخصة المطلوبة، إلا بعد خضوعه لمقابلة تجريها له لجنة شكلت خصيصاً لذلك الغرض.
- على المترشحين للتعليم في الكتاتيب أن يرفقوا طلبهم بشهادة حسن سيرتهم وأخلاقهم.
- وقد نص القرار على أن اللجنة المشكلة لإجراء امتحانات قبول المترشحين للتدريس، هي نفسها المخولة من قبل الإدارة الاستعمارية، بتفتيش الكتاتيب القرآنية ومراقبتها بين الحين والآخر. وبموجب القرار أيضاً، أصبح لزاماً على المدرسين في الكتاتيب أن يرسلوا أسماء تلاميذهم، نهاية كل شهر إلى الجهات المختصة. أما المادة الخامسة التي تعتبر أخطرها فتنص على ضرورة إرسال المعلم تلميذه البالغين سن الثانية عشر فما فوقها، إلى الدروس المسائية التي تقدمها مدارس الرهبان البيض الكاثوليكية، أو العلمانية باللغة الفرنسية. وقد أشرنا إلى ذلك سلفاً.
- وأخيراً يشير القرار إلى أن مهنة التعليم في الكتاتيب القرآنية، يستطيع الرجل كما تستطيع المرأة مزاولتها، شريطة أن تتوافر فيها فقط الشروط المنصوص عليها في القرار المذكور[25].

ويشكل هذا القرار أقصى أساليب الحرب الطويلة التي شنتها الإدارة الاستعمارية ضد المدارس القرآنية وأعضاء هيئة التعليم فيما بين قوم القائمين من بلاد شنقيط والشمال الإفريقي، وهؤلاء الذين انتهوا بأثرهم غرباء يهجرون بلاد السودان الغربي للوصل إلى الجامعة الإسلامية، وأنهم هم الواقفون وراء كل القلاقل والخلق الخلق مركب النقص في نفس المواطن والاحتجاجات الاجتماعية والسياسية التي كانت تحدث في المنطقة[26]. ومع استمرار رفض السكان للالتحاق إلى المدرسة الاستعمارية فكر القائمون على الإدارة عام 1905م في إنشاء مدرسة إسلامية لأبناء المرابطين (الشيوخ)، وذلك كخطة تمكنهم من مكافحة المحاضر المنزلية والمتنقلة التي كانت تفلت من الرقابة الإدارية. لكن الفكرة لم تتجسد على أرض الواقع، إلا بعد ثلاث سنوات، عندما حولت مدرسة "أندَرْ - N'dar[27]" بالسنغال عام 1908م إلى مدرسة لأبناء الشيوخ، مستلهمة أساليبها ومناهجها من التجربة الجزائرية. وقد فتحت فيما بعد مدرستان أخريان في مدينتي "جنّي - Djenne" و "تمبكتو". الواقعتان بقطر السودان الفرنسي (مالي) وكان منهاج مدرسة أبناء الشيوخ بـ "أندر - N'dar" متنوعاً في مواده، بحيث شملت العديد من التخصصات التي تجذب السكان، ومن أمثلة ذلك:

- في الأدب والقصص، كان التلاميذ يدرسون حكم لقمان وكليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع، وألف ليلة وليلة، والمعلقات، وبردة البوصيري، وقصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير، ومقتطفات من الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ولامية العرب للشنفرى، ولامية العجم للطغرائي، ومقامات الحريري، ورحلة ابن بطوطة، ومقدمة ابن خلدون، وغيرها.
- وفي اللغة، مختصر ابن أجروم، وألفية ابن مالك، ولامية الأفعال، والخزرجية في العروض وغيرها.

وقد لوحظ غياب بعض المواد المهمة في مقررات مدرسة أبناء الشيوخ، كالسيرة النبوية والمواد الدينية وأدب البطولات والجغرافيا، أهملها واضعو المنهج قصداً، لئلا يتعلم أبناء المسلمين الفتوحات الإسلامية وسيرة نبيهم، وبطولات الفاتحين، لكيلا يستلهموا منها مآثر السلف

21- انظر Yvonne Turin: Affrontementsculturels dans l'Afriquecoloniale, centre national de la recherchesscientifiques/ Paris1971, p 210.

22- هو لويس ليون سيزار فيدرب - Louis Léon César Faidherbe، مهندس السياسة الاستعمارية الفرنسية في غربي أفريقيا عُيّن للمرة الأولى للعمل إلى جانب برتني - Protêt مؤسس مدينة دكار، التي أصبحت عاصمة إدارية وسياسية لمستعمرة السنغال، ودول غرب أفريقيا الناطقة بالفرنسية في سنة 1903م. وقد أظهر كفاءة خارقة في عمله، وتلك ما دفعت وزارة المستعمرات إلى تعيينه خلفاً لبروتني بعد سنتين فقط من عمله الإداري. كان داهية وخبيراً في استخدام وسائل الدعاية والإعلام ضد الشيخ عمر الفوتي خاصة. غادر السنغال عائداً إلى بلاده بعد مقتل الشيخ عمر الفوتي عام 1864م ما يؤكد لنا أن مهمته كانت محددة ودقيقة. (راجع الشيخ موسى كمرا: الكنز الثمين في الجهاد بعد التبيين من يحتار الظهور وملك البلاد ولا يبالي بمن هلك في جهاده من العباد. حققه أحمد الشكري وخديمأمباكي. منشورات معهد الدراسات الأفريقية، الرباط ـ المغرب، ص51 في الحاشية).

23- انظر الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص108.

24- انظر المرجع السابق نفسه، ص138.

25- انظر الهادي المبروك الدالي: المرجع نفسه، ص140-141. وعبد القادر سيلا: المسلمون في السنغال ـ معالم الحاضر وآفاق المستقبل، مطابع الوحدة الحديثة، ط1 ـ 1986، سلسلة كتاب الأمة (12).

26- انظر لوثروبستوتارد - LothropStottard: حاضر العالم الإسلامي، تقد. شكيب أرسلان، دار الفكر العربي، د.ر.ولا م.ط ص 319.

27- انظر عمر محمد صالح: المرجع السابق، ص506. والخليل النحوي: المرجع السابق، ص346.

الصالح وجهاد الأجداد. وهذا يُظهر بوضوح أن إنشاء هذه المدارس لم يكن لأغراض تربوية بحتة، يتعرف السكان من خلالها على الثقافة و الشئون الاجتماعية؛ وإنما أنشأت لتخريج إداريين مستوعبين ثقافيا يحملون حقائق وصورا مزيفة عن واقع بلاد المسلمين وماضيها. [28]
فرضت تلك السلطات الاستعمارية رقابة مشددة على العلماء والشيوخ، وفتحت لكل واحد منهم ملف استخبارات خاص، وأخضعت تحركاتهم لتصريحات، لا يتحصلون عليها إلا بعد تحقيقات وتحريات لا نهاية لها، وآخر ذلك من أنواع المضايقات وكانت ملفات مدرسي المدارس القرآنية تتضمن بيانات مفصلة عن المعني، وعدد تلاميذه، ومريديه، وصلته بالشيوخ الآخرين، وكل علاقاته الخارجية، وممتلكاته، خاصة منها الكتب التي بحوزته، وأسفاره[29]. وأقرب دليل على وجود تلك الضغوط والمضايقات أن الشيخ الحاج محمود باه[30] لما افتتح فرع مدارس الفلاح بمدينة "خاي - Kayes" الواقعة غربي جمهورية مالي الحالية في العام 1943م، لقيت نجاحاً منقطع النظير، فأزعج ذلك الإدارة الاستعمارية التي استدعت الشيخ إلى مدينة "باماكو - Bamako" العاصمة، حيث أبلغته أن بقاء مؤسسته مرهون باحترام عدة شروط مجحفة، منها:

- ألا يعلم طلابه مواد التاريخ العام والتاريخ الإسلامي والجغرافيا، وذلك لأن دراسة التاريخ والجغرافيا توّهل الطلبة لمعرفة المواقع والأحداث والعلاقات، ما يؤكد الطرح الذي ذهبنا إليه سابقاً أن التعليم الاستعماري لم يقرر للتربية والتأهيل، وإنما لخلق جيل مستوعب ذهنياً سابقاً.
- ألا يدرس بها الحساب.

وقد بقي الشيخ الحاج محمود باه في حيرة كبيرة، لكنه لم يستسلم بالرغم من كل التحديات التي واجهت مسيرته التعليمية، حيث استطاع بفضل الله عز وجل وعزيمته القوية، أن يبقي هذا الصرح العلمي صامداً أمام التيار الاستعماري الجارف، حتى أصبح منارة علمية فيما بعد تحمل اسم "مدارس الفلاح"، لها أزيد من سبعين فرعاً في كل أنحاء الغرب الإفريقي.[31]
ولتشديد سياسة المراقبة، أنشأت السلطات الاستعمارية إدارة خاصة أطلق عليها اسم المكتب الثاني مقره العاصمة السنغالية دكار، ومهمته تلقي التقارير الدورية عن التعليم العربي والشيوخ الأجانب[32]، الذين يدخلون البلاد بدون إذن الإدارة الاستعمارية[33]. وبالرغم من كل المحاولات الهادفة إلى خنق المدارس القرآنية والتعليم العربي الحر، باستعمال كل الوسائل الظاهرة والخفية، فإن مرتادي المدرسة القرآنية ظلوا في ازدياد مطرد، في الوقت الذي لم يسجل فيه عدد الملتحقين إلى المدارس الفرنسية أي ارتفاع يُذكر. ويبدو تفوق التعليم العربي على التعليم الفرنسي واضحًا، وذلك حتى نهاية سنة 1912م، حيث بلغ عدد تلاميذ التعليم العربي في أفريقيا الغربية في نهاية سنة 1909 م ما يقرب من 54336 تلميذًا، بينما لم يبلغ عدد تلاميذ التعليم الفرنسي في المنطقة خلال سنة 1911م ما يقرب من 11166 تلميذًا فقط. إذن يمكن القول: بأن التعليم العربي في غرب أفريقيا ظل متفوقًا على التعليم الفرنسي خلال العهد الاستعماري الأول، وذلك حتى سنة 1912م.[34]

ومع هذا الواقع، المر بالنسبة للإدارة الاستعمارية المتمثل في رفض السكان التعليم الأجنبي فإنها لم تيأس؛ بل خططت للمدى البعيد، ولجأت إلى إصدار قرارات صارمة، من أجل تقليص الفجوة بين النظامين التعليميين. ومن بين تلك القرارات عدم توظيف أي شخص لا يحسن القراءة والكتابة باللغة الفرنسية في الدوائر الحكومية. وقد كتب لهذا القرار ببعض النجاح، حيث إن العديد من الأسر اضطرت إلى إرسال أبنائها، أو واحد منهم على الأقل إلى المدرسة الفرنسية، لتأمين مصدر عيش للأسرة. لكن ذلك لا يعني البتة أن هذا الموقف كان شاملًا، وإنما كانت الأغلبية الساحقة من الأسر ترفض إرسال أبنائها إلى المدرسة الفرنسية، حيث لم تغير الصعوبات والظروف المعيشية الخانقة مواقفها الراسخة. والقلة القليلة من المستعربين الذين اضطرت الإدارة الاستعمارية إلى تعيينهم وظفوا في مناصب لا تتناسب مع مؤهلاتهم العلمية، ليبرز ذلك هوان أمرهم، قياسًا بخريجي مدارس الإدارة الاستعمارية، وذنبهم في ذلك كله هو عدم رغبتهم في تعلم لغة لا علاقة تربطهم بها. وللتأكيد على تلك المواقف ينبغي أن نشير إلى أنه لازالت توجد في السودان الغربي ونحن في نهاية الربع الأول من القرن الحادي والعشرين الميلادي، أسر لا ترغب في إرسال أبنائها إلى المدرسة الغربية، لأنها ترى في ذلك خروجا عن المألوف، وتضييعها لمستقبل الأطفال الديني والأخلاقي.[35]

4 - بداية المقاومة الثقافية المنظمة

نشير في بداية هذا المبحث إلى أن الساحة العلمية لم تكن فارغة كما كانت الإدارة الاستعمارية تعتقد، وإنما كان المثقفون المسلمون يقطنون لما هناك من اهتمام، ومنظمين في درجة جعلتهم قوة منيعة كانت بمقدورها أن تواجه الغزو الثقافي الاستعماري. فقد كانوا ينتظرون الوقت المناسب للبدء في العمل. ولما هدأت موجة المواجهة المسلحة، واعتقد المستعمر أنه قد قمع كل المعارضين، بحيث لم يعد هناك من يقدر على مواجهة وجوده، وبعد ذلك خططوا لمحاصرة التعليم الديني، ومراقبة الدعاة والمرابطين، متبعين في ذلك سياسة ذكية وبطيئة، تهدف إلى تحقيق هدفين اثنين هما :

- التحكم في المسلمين وتوجيههم، لئلا يهددوا مصالح الاستعمار العليا، وذلك بنفي عدد كبير من زعماء الإسلام، والحد من تنقلاتهم، خاصة أولئك الذين لم يتمكنوا من التأثير فيهم، أو تحييدهم. وهم المصنفون على رأس قائمة أعداء الإدارة الاستعمارية .
- منع انتشار الإسلام بكل الوسائل المادية المتاحة، وعن طريق سن القوانين التي تحد من حريات الدعوة خاصة رأينا في المرحلة السابقة.[36]

---

[28]- انظر عبد القادر زيادية: أثر الفرنسيين في القضاء على مكانة اللغة العربية في أفريقيا الغربية، مجلة المؤرخ العربي/ بغداد، ع 15، س 1988، ص 88-89. والخليل النحوي: بلاد شنقيط، المنارة والرباط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم/ تونس، د.ر. ط1087، ص 349.

[29]- انظر الخليل النحوي: المرجع السابق، ص342.

[30]- ولد في بلدة جوول - Jowol الواقعة بجنوبي الجمهورية الإسلامية الموريتانية عام 1906م. حفظ القرآن الكريم مبكراً وسافر إلى الأراضي المقدسة في سنة1928م لطلب العلم، وقبل في المدرسة الفلاحية، حيث درس علوم التجويد وفن القراءات. ولما تخرج عام 1940م عاد إلى بلاده. ويعد رجوعه بفتحه أسس سلسلة مدارس الفلاح التي تعتبر حتى اليوم من أهم المؤسسات التعليمية الإسلامية بالغرب الأفريقي. توفي سنة 1978م رحمه الله تعالى رحمة واسعة. (راجع عمر محمد صالح: الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الأفريقي، مؤسسة الرسالة بيروت، ص 604-606).

[31]- انظر عمر محمد صالح: المرجع السابق، ص506. والخليل النحوي: المرجع السابق، ص346.

[32]- يُقصد بهم الدعاة والمعلمون الذين كانوا يفدون إلى المنطقة من بلاد شنقيط وشمال أفريقيا لغرض التعليم والدعوة إلى الله تعالى. (ككتب المقالة)

[33]- أنظر: أبو بكر خالد باد: تاريخ تطور الثقافة الإسلامية بوادي السنغال، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ص181

[34]- الهادي المبروك الدالي: نفسه، ص130.

[35]- انظر: المرجع السابق نفسه، ص130.

[36]- انظر محمد سعيد ولد همدي: موريتانيا في مواجهة عبر القرون مع أوروبا، تر. محمد ولد محمد المختار، مجلة التعليم، ع28، س 1977، ص 202.

وفي الوقت ذاته تأكد للإدارة الاستعمارية أن منطقة السودان الغربي قد تبنت الحضارة الإسلامية، منذ ما يزيد على عشرة قرون مضت، وأنها كانت تعج بالمراكز الإسلامية التي تنبضبروح الدعوة الإسلامية، وبعلماء دعاة يمتلنون من الحماس الديني ما يكفي لإفشال كل مخططات الاستعمار، عملت جهدها - حتى تكسب معركة التغريب - لتحقيق تبعية الإنسان المسلم، بصياغة فكره وتوجيهه، لأن تبعية الإنسان هي الهدف المطلوب بالدرجة الأولى[37]. وتحقيقاً لتلك السياسة الاستعمارية، استخدم مخطط الإدارة الاستعمارية عدة وسائل، أهمها: وسيلة تعليمية وثقافية، تمثلت في إطلاق يد الكنائس الغربية، لإنشاء المدارس التنصيرية والجامعات التي تدرس دين المستعمرين وثقافتهم عن طريق استخدام اللغات الاستعمارية وقد ورد نص في الفقرةالثانية، منالمادةالثانيةلمؤتمربروكسلالمنعقدفي/2 يوليو1890ف، يدعوالدولالموقّعةعلىالنصلحماية البعثاتالتنصيريةالتيتمارسعملهافيالقارةالأفريقية.[38]

وكانت أولى أولويات البعثات التنصيرية، إلى جانب تعليم اللغات الغربية، هي التنفير من الإسلام، بعرض مبادئه السامية في صورة غير حقيقية، وبث السموم ضد التاريخ الإسلامي، وتصوير الدين الإسلامي على أنه دخيل في المنطقة، ولا علاقة له بالإفريقية، والعمل بمختلف الوسائل المتاحة للقضاء على رموز الثقافة العربية الإسلامية عن طريق تعطيل كتابة اللغات الأفريقية، التي ظلت لفترة طويلة تُكتب بالأحرف العربية واستبدالها بالأحرف اللاتينية. ولم يكتف المخططون الاستعماريون بتلك الخطوات الخطرة، وإنما سعوا إلى علمنة الأنظمة السياسية التي أداروها هم بأنفسهم. وذلك لمحاربة المعتقد الديني، وتقليص نفوذه، ونشر نظام تعليمي يقوم على اللامبالاة الدينية والاجتماعية[39]. وفي مساعي لمواجهة هذا المشروع التخريبي الضخم والحيلولة دون نجاحه - لا بد وأن تتضافر جهود القيادات الدينية في المنطقة من أجل وضع استراتيجية إسلامية محكمة البناء، تعمل كلياً وبشكل جدي، من أجل الدفاع عن الذات الإسلامية. وذلك حتى لا يجرف التيار الاستعماري المتدفق تاريخ المسلمين الفكري والحضاري برمته.[40]

وفيما يلي ذكر لبعض الوسائل المضادة التي استخدمها المثقفون المسلمون لمقاومة البرامج الثقافية الاستعمارية، تتلخص في عدة نقاط، أبرزها: إقامة مدارس قرآنية وحلقات درس دروس كمجالس علمية في كل مدن البلاد وقراها، وكذلك تأسيس روابط ومنظمات إسلامية، وتأليف الكتب، وإقامة الاحتفالات الدينية في مختلف المناسبات، وإيفاد خريجي المدارس ومن تم تكوينهم وتربيتهم إلى المناطق التي أتوا منها، أو إلى غيرها من القرى والمدن، حسب ما يحدده الشيخ المقرئ والمربي. والهدف منها نشر الدعوة الإسلامية وتكوين الأجيال الصاعدة لإبعاد ضرر التغريب عنهم.

5 - المدارس القرآنية كأداة للمقاومة الثقافية

أول خطوة خطاها الاستعمار الفرنسي بعد إحكام سيطرته على بلادنا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي هو تمكين المنصرين من افتتاح مدارسهم، في إطار ضرب الأبجدية العربية التي يستخدمها السكان كأداة لتلقي العلوم العربية والإسلامية، ولكتابة اللغات المحلية والمعارف المتنوعة، وبالتالي تنفيذ سياسة عزل مسلمي المنطقة عن مصادر الثقافة العربية الإسلامية، حتى يخلو الجو للثقافة الغربية [41]، ولقد حقق الاستعمار الأوروبي نجاحاً كبيراً في مجال محاربة اللغة العربية والثقافة الإسلامية وعزل مسلمي المنطقة عن إخوانهم في الشرق الإسلامي وشمالي أفريقيا، من خلال الذين وشوهوا صورة الإسلام الحقيقية، والافتراء على تاريخ الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي، حيث حولوا جزءاً نزيراً من المستشرقين والإداريين عليهم الوجود هو بعث الإسلام بكل الصفات الدينية، من خلال كتاباتهم وتقاريرهم، سعياً لإبعاد الأفارقة عن التراث الإسلامي. ومن أمثلة ما كانوا يقولونه: إن الإسلام عقيدة غريبة على المجتمعات الأفريقية السمراء، وإن الإسلام ساهم بنصيب كبير على استرقاق الشعوب الأفريقية وتخلفها. ولم يكتفوا بذلك، وإنما حاولوا ابتداع طريقة لتعليم القرآن الكريم، وإنشائها في أوساط المجتمع في السودان. مستغلين في ذلك رغبة السودانيين المتعاطفين في تعلم القرآن الكريم واللغة العربية. وتتلخص طريقة تدريسهم المبتدعة في كتابة القرآن بالحروف اللاتينية وهجر الحرف العربي. ومن أهم الوسائل التي استخدمها الاستعمار الفرنسي للحد من تنامي الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة: إقامة الحواجز بين دول الشمال الأفريقي والسودان الغربي، وفتح الأبواب على مصاريعها لزيارة وفد المستعمرين الأم خلال ساعات، في الوقت الذي يصعب عليهم، بل يستحيل عليهم بأي تنقل إلى الأقطار الإسلامية الواقعة وراء الصحراء، وبعد سيطرتهم على مفاصل المنطقة عطّلوا جلّ طرق المواصلات التي كانت تربط المنطقتين (السودان الغربي وشمال أفريقيا) ببعضهما، وأقام بدلاً من ذلك شبكات نقل متطورة نسبياً، تربط المستعمرات بأوطان المستعمرين .[42] فمن طريق المدرسة القرآنية عرف المسلمون السودانيون القراءة والكتابة، وتمكنوا من استخدام الحرف العربي لتدوين بعض لغاتهم، وبالتالي تدوين تاريخهم وتراثهم، وإليها يعود الفضل الكبير في نشر الإسلام وتقليص رقعتي الجهل والتخلف الفكري بمنطقة السودان الغربي. بيد أن المدرسة القرآنية قد تأثرت بالتحولات العميقة التي اعترت حياة المجتمع السوداني، حيث وجدت نفسها تواجه أمام القوى الاستعمارية الغربية التي حشدت كل إمكانياتها المادية والمعنوية، في سبيل تكريس هيمنتها، ونشر لغاتها. وبالرغم من كل ما حدث لم يكن طريق المستعمرين لتحقيق هدفهم مفروشا بالورود.[43]

6 - التعليم والتثقيف كوسيلة للمقاومة: -

اهتم الدعاة الأوائل منذ فترة دخول الإسلام إلى السودان الغربي، ومراحل انتشاره الأولى في مختلف أقطاره، بإنشاء المدارس القرآنية، وإقامة حلقات الدرس، بهدف تربية النشء على الشريعة الإسلامية، منذ نعومة أظفارهم. فالتعليم الديني أسهم إسهامًا كبيرًا في نشر الثقافة العربية الإسلامية،

---

[37] – انظر نعيم فداح: المرجع السابق، ص 165. وعبد الله عبد الرازق إبراهيم: الطرق الصوفية ودورها في نشر الإسلام في إفريقيا، ندوة المسلمون في إفريقيا، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/ طرابلس -1998، ص 21.

[38] - انظر شوقي جمل وآخر: الوثائق التاريخية - دراسة تحليلية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات/ القاهرة، ص81.

[39] - انظر محي الدين صابر: العلاقات الثقافية بين إفريقيا والعرب، ندوة العرب وإفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1987، ص 499، وخالد عبد المجيد مرسي: مرجع سابق، ص 125.

[40] - انظر جيم عثمان درامي: قراءة في كتاب شريفو نهاية الليل، مجلة الصحوة السنغالية، ع28/ ديسمبر – 1999، ص 75.

[41] - انظر محمد صالح يونس: العرب وأفريقيا - علاقات قديمة ومصير مشترك، صحيفة الدعوة الإسلامية، تصدرها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/ طرابلس - ليبيا، ع601، ص 06.

[42] - انظر عون الشريف قاسم: الإسلام والعربية في السودان، دراسات في الحضارة واللغة، دار الجيل/ بيروت - دار المأمون/ الخرطوم، دون معلومات النشر، ص223.

[43] – انظر: محيي الدين صابر: العرب وأفريقيا – العلاقات الثقافية، المكتبة العصرية / صيدا بيروت، ط1- 1987، ص20.

وأنشئت المعاهد الدينية وحلقات الدرس لمقاومة دعوات تنصيرية من العلماء الذين شارك العديد منهم في مقاومة الاستعمار عسكريًا. وبإباء أو أفراد أولئك المناضلين الذين أزعم إخراجه في الاستعمار بعد أن تسلموا الشعلة من سلفهم إثر إخفاق المقاومة العسكرية، فالتمسوا وسائل أخرى من أجل مواصلة السير على الدرب الذي رسمه الآباء والأجداد. وخير ما وجدوا لتحقيق تلك الأهداف هو تجنيد كل طاقاتهم وإمكانياتهم المادية والمعنوية لاستكمال ما بقي من النضال العلمي والثقافة، لأن الحرب كلها هي حرب فكرية، وقد كانوا واعين لذلك[44].

ونجد أن الدور التثقيفي الذي لعبته المؤسسات التعليمية، واضطلعت به الزعامات الدينية، لم يقتصر على تدريس الطالب العلوم مبادئ القراءة والكتابة فقط، وإنما تجاوزه في أغلب الأحيان إلى تربيته تربية صوفية، تسمح للطالب بنشر الطريقة الصوفية التي ينتسب إليها، إذا ما غاب عنه المدرس أو الدعوة في الأقاليم المجاورة أو النائية عن مكان سكنه، وذلك عن طريق التعليم وحفظ الأوراد والاشتراك في حلقات الذكر. وكان لهذا النهج آثاره الإيجابية في تقليص رقعة الجهل والتخلف الفكري لدى أبناء الإسلام في المنطقة، وتوطيد ركائز الثقافة الإسلامية فيها، وحماية الشباب المسلم عامة من سلبيات الثقافة الغربية الوافدة[45].

وكانت المراكز التعليمية تفتح في المساجد عادة، لكن التخفي والسرية كانا يدفعان الراغبين في ممارسة مهنة التدريس - اضطرارًا - إلى افتتاحها في بيوتهم، بهدف الابتعاد عن أعين الاستخبارات الاستعمارية التي وضعت شروطًا تعجيزية لافتتاح المدارس الحرة[46].

7. موقف الإدارة الاستعمارية من زعماء المقاومة الثقافية

بالرغم من كل التحديات تمكنت الفئة الواعية من ممارسة التعليم، وتنوير عقول المواطنين المستضعفين، متحدية بذلك الإدارة الاستعمارية. هذا ما جعلهم يقسمون الشيوخ والمرابطين وزعماء الحركات الإسلامية إلى فئات عدة، هي:

- فئة لا ترى الإدارة الاستعمارية مناصًا من الدخول معها في حرب طويلة للقضاء عليها، أو طردها خارج حدود بلادها.
- فئة ثانية يظهر من ملامحها أنها لا تعارض الإدارة الاستعمارية، لكن الأخيرة هي لا تثق فيها، ولذلك قررت أن تظل مراقبة حتى تتأكد خطورتها من عدمها.
- فئة ثالثة اطمأنت عليها بال الإدارة؛ حيث لم تكن تتوقع منها أي خطر، ولذلك سمحت لها بأن تباشر مهامها التعليمية بالشروط المنصوص عليها سلفًا في القرارات الخاصة بممارسة مهنة التعليم.
- أما الفئة الأخيرة فهي في الصالحة منة بالمنة، لقبولها التعاون مع الإدارة الاستعمارية، وقد استحققت بذلك المكافآت والأوسمة والألقاب الفخرية، تشجيعًا لمواقفها المساندة لها[47].

هذا وإن نجح الاستعمار في تحييد بعض الشيوخ عن ممارسة حقوقهم السياسية والمدنية، وإهمال المؤسسات الدينية، عن طريق عدم صرف المعونات المستحقة التي كانت تُصرف للمدارس التنصيرية والعلمانية، فإنه لم ينجح في سلب رغبة المسلمين الجامحة في تأكيد هويتهم الإسلامية، وشخصيتهم المتميزة، أو حتى ثنيهم عن حماية أصالتهم الثقافية، بالرغم من سعي الإدارة الاستعمارية الدؤوب ومعها المنظمات التنصيرية إلى الإكثار من المدارس. لكن السكان اعتبروا المدارس النظامية نوعًا من العدوان، مثلها مثل بقية الإجراءات الاستعمارية التعسفية كالتجنيد الإجباري، ومصادرة الأراضي، وجباية الضرائب، والعمل القسري، وغيرها[48].

ومن الحجج الأخرى الدالة على تعسف الإدارة الاستعمارية وعدائها المستحكم ضد الدين الإسلامي، وإصرارها على تبني القمع وسبلًا من وسائل الحرب هو إسناد أمر المدارس القرآنية والمؤسسات التعليمية التي تستخدم اللغة العربية إلى الهيئة المشرفة على الأمن الداخلي، مثلها في ذلك مثل المساجد، ذلك في تجرؤ سافر ضد حقوق السكان. فبدل أن تنظر إليها نظرة إيجابية، بوضعها تحت مسؤولية المديرية الجهوية للتربية والتعليم التي ترعى المؤسسات الرسمية، ودور المدارس القرآنية في تكوين النشء يتميز بكونها تستهدف جوهر الإنسان الذي هو القلب، وعليه يمكن القول بأن الإدارة الاستعمارية كانت تعتبر تعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية قضية أمنية. وهذا الموقف المتشدد يدل بكل وضوح على تخوّف المستعمرين المتزايد من تنامي رغبة السكان في تعلم اللغة العربية، وحرصهم على التواصل مع ثقافة الإسلام، وهاجس الخوف من المدارس والمراكز الإسلامية لم يزل قائمًا إلى حد اليوم، لكونه من موروثات الاستعمار. [49] وازدياد المضايقات ضد التعليم العربي والمؤسسات الإسلامية، زاد موقف المثقفين المستعربين صلابة، حيث قاموا بصير وجلد النظام الاستعماري، وأنشأوا المزيد من المدارس والزوايا لتخريج الكوادر المتخصصة في الدراسات العربية والإسلامية. فأغلب المدارس الدينية العريقة في السنغال القائمة والسودان الغربي، مازالت تؤدي دورها على أكمل وجه، وأغلبها قد تأسست إبان فترة الاستعمار. وقد ساهم خريجوها في نشر الدعوة الإسلامية، فتمكنوا من لعب دور هام في رفع نسبة المتعمقين في الدين الإسلامي إلى 95% من مجموع السكان، على حسب الإحصاءات الرسمية. وفي وجهة نظرنا الشخصية أن النسبة تفوق المذكورة؛ حيث إنها قديمة. ولا يُعقل أن تظل على ما هي عليه دون تغير زيادة أو نقصانا. والمؤكد أن عدد المعتنقين للإسلام يزداد يومًا بعد يوم، وبشكل يلاحظهالجميع، هذا في الوقت الذي لا نسمع أن أحدًا من المسلمين قد تنصر، أو ارتد عن الإسلام. وإن كان لهذا دلالة فإنه يدل على أن المقاومة الثقافية التي وضع أسسها الشيوخ والمرابطون قد

44- انظر: خالد عبد المجيد مرسي: وجعفر حسن: الاستعمار وتكريس الأمية في إفريقيا، صحيفة الدعوة الإسلامية /طرابلس، ع684، ص78

45- انظر: عبر الله الرزاق إبراهيم: الطرق الصوفية في إفريقيا، مرجع سابق، ص41-42. والهادي المبروك الدالي المرجع السابق، ص88

46- انظر: د شارنو كاه: الثقافة العربية الإسلامية في السنغال، نمازج من حضور اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم / تونس1415هـ - 1994م، ص47

47- انظر جورتي سيسي: مرجع سابق، ص 36. وعبد القادر سيلا: مرجع سابق، ص 87.

48- انظر الخليل النحوي: مرجع سابق، ص 361.

49- انظر حسن الباش: الاستعمار ودوره في محاربة اللغة العربية، صحيفة الدعوة الإسلامية/ طرابلس، ع657، ص 95. وعبد القادر سيلا: نفسه، ص 87.

أبلى بلاء حسنًا في المواجهة التي شنتها الإدارة الاستعمارية على اللغة العربية والثقافة الإسلامية. [50]ولسنا هنا في صدد البحث عما يختلف فيه هؤلاء الشيوخ شرقًا أو غربًا؛ حيث نعلم جيدًا أن التوجهات الصوفية تختلف عن بعضها شكليًا، كما تختلف تعاملاتها عن توجهات الحركات الإسلامية

الأخرى، لكن المؤكد الذي لا يتشاجر فيه اثنان أن أهداف الجميع لم تتعارض؛ إذ علمنا أن زعماء المقاومة الثقافية ـ دون استثناء ـ قد خططوا من أجل تحقيق هدف واحد، ألا وهو صون هوية المجتمع المسلم وحماية مكتسباته الحضارية. ولهذا الأهداف تكاد تكون مطابقة لما ذكره العالم الاجتماعي الليبي الدكتور (عمر التومي الشيباني[51]) من الوسائل التي يمكن أن تساهم إيجابيًا في تأصيل الثقافة الأفريقية وتعميقها في نفوس أبناء القارة الأفريقية في مقالته "دور التعليم في تأكيد الأصالة الثقافية الأفريقية" ـ مع مراعاة الفارق بين الظروف الدولية والإمكانات التي توافرت في تلك الأزمنة والظرف الدولي الحالي ـ وذلك عندما عدها في نقاط نجملها هنا بالتصرف، لأهميتها في هذا الموضوع، وهي:

- الإسهام في تنشئة النشء الأفريقي، وإكسابه قيم مجتمعه وعاداته وتقاليده الأصيلة، وتعريفه بالأحداث البارزة في تاريخ أمته، وبالعبر التي يمكن أن تستفاد منها، والتي يمكن أن تنمي لديه روح الفخر والاعتزاز بأمته وثقافتها وتاريخها، وبما قدمه أسلافه عبر تاريخهم الطويل من تضحيات وبطولات ونجاحات وإنجازات في كل مجالات الحياة، كما تنمي لديه مشاعر الولاء والانتماء الوطني القومي، وتزيد من ارتباطه بثقافة أمته، وتزيد من انتمائه في هوية أمته الثقافية المتميزة عن ثقافة المستعمر، ويدخل ضمن عملية التنشئة الثقافية التي يتبناها أصحاب المراكز العلمية تعريف ذلك النشء بواجباته ومسؤولياته الوطنية والقومية والاجتماعية.

- الإسهام في توعية وتثقيف أفراد المجتمع الأفريقي عامة، والمتعلمين منهم بخاصة، وذلك حتى يعرفوا أصول دينهم ومعطيات تاريخ ونضال أمتهم، والتحديات التي واجهت أمتهم في ماضيها، وتواجهها في حاضرها، وما يتوقع لها أن تواجه منها في المستقبل القريب والبعيد، وتبصيرهم بحقيقة الاستعمار الغربي الذي تعرضت له قارتهم، وبالمضار التي أصابتها من جراء هذا الاستعمار، وبالنتائج السلبية التي ترتبت عليه، وبالاتجاهات السلبية التي أرادت تكوينها، بل كونها في نفوس الناس، والتي من بينها اتجاهات التبعية للثقافة والقيم والنظم الغربية، والاغتراب، والاستلاب الحضاري، وعدم الاهتمام بالهوية والشخصية الوطنية، والانهيار بثقافة الغرب ونظمه، والشعور بالنقص والدونية، وبالتالي ضعف الثقة بالنفس، وضعف روح المقاومة ضد النفوذ الغربي وتأثيراته الضارة.

- بناء الوعي بأهمية العلاقات بين الشعوب العربية والشعوب الأفريقية، وإبراز وشائج القربى بينها، والأصول الحضارية المشتركة، وكشف الآثار السلبية للاستعمار الغربي على العلاقات العربية الأفريقية، ويترتب على ما يقوم به من تشويه متعمد للتاريخ المشترك عمومًا.

ومما لا ريب فيه أن فئة من مربين اتخذوا من الوظائف المذكورة منهجًا للتعليم، يساهمون بنسب عالية في مكافحة الأمية والتخلف الثقافي، ويحدثون تغييرات جذرية في نظم الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية لمجتمعاتهم، ويُوعَون من ثقافة المواطنين العامة، ويُصِرُّونَ بواجباتِهِم وأدوارهم في تنمية مجتمعاتهم، في إطار القيم الدينية والثقافية الأصيلة لأمتهم الأفريقية.

ومن مظاهر المقاومة الثقافية في السنغال بعد إنشاء المدارس القرآنية والمراكز التعليمية والزوايا استمرار إقبال واسع من أبناء الشعب السنغالي في امتناع إرسال أولادهم إلى المدرسة الفرنسية، لاعتبارهم إياها عدوة لدودة للثقافة الإسلامية، وأن تعلم اللغة الفرنسية يعتبر في نظرهم خروجًا عن تعاليم الدين الإسلامي. ولا يجوز للمسلم في نظرهم أن يتعلم لغة المستعمرين الغزاة، "بل ومنهُم من بالغ في المنع، وقال: إن تعلم حرف واحد من حروفها يُحاسب عليه يوم القيامة[52]".

ويُذكر أنه لا يزال يوجد في السنغال إلى اليوم من يحمل هذا الاعتقاد ويُصِرّ على منع من يكفلهم من تعلم اللغة الفرنسية والتشبه بالنصارى الغربيين، كلبس البنطلونات والقبعات، أو استخدام شيء مما يستخدمونه في العادة [53]. فمدينة طوبى عاصمة الطريقة الصوفية [54]المريدية، مثلاً التي تعتبر ثانية أكبر مدن السنغال من حيث تعداد السكان، لا توجد فيها إلى اليوم مدرسة فرنسية رسمية واحدة – فيما نعلم – ولا نصيب لمؤسساتها من التعليم الفرنسي، اللهم إلا ما يمكن اكتسابه من خارج أسوار المدينة المقدسة. وذلك منذ تأسست في سنة 1887م[55]. وفي عهد الخليفة العام للطريقة المريدية الشيخ صالح امباكي [56] بني في ضواحي المدينة طوبى أكثر من ثلاثين فصلاً دراسيًا بتمويل من منظمة غير حكومية مشبوهة دون علم الخليفة، ولما وصل إليه الخبر أمر بإغلاقها على الفور.وهذا يدل بكل وضوح أن الجهات التي ترعى مصالح الاستعمار مصرة على تحقيق أهدافه المتمثلة في زرع اللغة الفرنسية وثقافتها في كل مكان من ربوع الوطن، لكنها تصطدم في كل مرة بالمد المنيع الذي أقامه رجال المقاومة الثقافية.

---

[50]– انظر حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي/ القاهرة، د ر ط-1999، ص 229.

[51]– هو أكاديمي ليبي ولد بمصراتة عام 1927م. ودرس بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة قبل أن يواصل دراساته العليا بجامعة جورج واشنطن في الولايات المتحدة. وفيها تحصل على الماجستير والدكتوراه في عام 1962م. له مؤلفات عديدة في علوم التربية وعلمي النفس والاجتماع. توفي سنة2002م

- . د شارنوكاه: الثقافة العربية الإسلامية في السنغال، نماذج من حضور اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم / تونس1415هـ - 1994م.

7 - النتائج

يتبين من كل ما تقدم أنه بالرغم من قمع الإدارة الاستعمارية ومضايقاتها الممنهجة، واستمرار السلطات التي تسلمت السلطة بعد استقلال السنغال في حرمان المجتمع المسلم من أن يختار صنف التعليم الملائم لدينه وثقافته، فإن المقاومة الثقافية قد حققت نتائج إيجابية لصالح الشعب السنغالي، ويمكن أن تختصر أهمها في الآتي:

- **هزيمة الاستعمار والوثنية المتحالفة معه بانتصار الإسلام، علماً بأن الدفاع عن الإسلام والعمل على نشره كانا هدفين ضِمن قائمة أهداف المقاومة الإسلامية. ويُشير هذا أنه لكي نقدر قيمة ما حققه مشايخ الطرق الصوفية وزعماء الحركات الإسلامية بالسنغال تقييماً جيداً وأن نتذكر أن السنغال كان يشكل البوابة الرئيسية التي دخل منها الاستعمار الفرنسي، وهو [57]أول بلد أفريقي تمكنوا من وجود موطئ قدم فيه. حيث استقروا في سان لويس اندر ورفيسك - غوريه - وداكار[58]، وكان لهم فيها مراكز تجارية ومصالح اقتصادية. وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي شرعوا في تنفيذ مخططهم التوسعي باتجاه جميع المناطق، بما فيهم الشمال الأفريقي. ولكنهم انطلقوا من السنغال، مقرهم الرسمي في غربي أفريقيا، حيث كان لهم قواعد صلبة قبل أن يتوجهوا إلى الشرق ووسط القارة. وبيت القصد أن المستعمرين الفرنسيين قد نجحوا في تنصير السنغاليين وتغريبهم في الوقت الذي وصلت درجات نجاح منصريهم في التداخل إلى نسب تفوق ما حققوه في بلد المقر والانطلاق. والفضل كل الفضل في ذلك يعود لجهود مشايخنا ودعاتنا الأبرار.**

- **انتصار الصوفية بسيادتها في كل الأوساط الاجتماعية، بغض النظر عن النزاعات التي وقعت بين بعض الطرق الصوفية والوشائج العالقة في ممارسات بعض أتباعهم. وهو ما أشرنا إليه سلفاً.**

- **انتشار الثقافة العربية الإسلامية في كل أقطار السنغال، ذلك بفضل الله وتفاني زعماء المقاومة الثقافية. لكن ذلك لا يعني بتاتاً أن المقاومة قد انتصرت نهائياً، حيث لم يعد هناك حاجة للدفاع عن المكتسبات. فقد بقي الكثير، لأن الجميع يشهد بأن آثار التغريب بادية، ولا يمكن محاربته إلا بإعادة صياغة المناهج الدراسية حتى تتلاءم مع تراثنا وحقائقنا الدينية والاجتماعية، ونفض الغبار عما علق بتاريخنا المكتوب بأيدي أجنبية.**

المصادر والمراجع:

- جبريل تمسيرنيان: مالي والتوسع الثاني للمانديغ ، تاريخ أفريقيا العام، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ أفريقيا العام (اليونسكو) مج 4، أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، 1988.

- جورتي سيسي: السنغال والثقافة الإسلامية، دار شمس المعرفة للطبع والنشر والتوزيع، د.ر.ط، س 1989..

-عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلامي غربي أفريقيا، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط 1 - 1988.

عبد الحي عبد الحق: القرابة اللغوية في غرب أفريقيا، دون تاريخ ر.، ط 1997.

- عبد الله الخاتم : التعليم الإسلامي في غرب أفريقيا، مجلة دراسات أفريقية، العدد 3 - أبريل 1987.

- محمد سعيد باه : دولة الأئمة في فوتا و تورو تجربة إسلامية على ضفاف نهر السنغال (إحدى أنجح محاولات إحياء الدولة الإسلامية). رسالة غير مطبوعة مرجع سابق.

- بازيلدافيدسون: أفريقيا تحت أضواء جديدة، تر. جمال محمد أحمد، دار الثقافة العربية/ بيروت، د.ر.ط، ولا س ط.

- شارنوكاه: الثقافة العربية الإسلامية في السنغال، نماذج من حضور اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم / تونس 1415هـ - 1994

.

- آدم عبد الله الألوري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ط 1- 1971، نقلاً عن أحمد محمد البدوي في كتابه: أوراق عربية من صكتو، منشورات جامعة قاريونس.

- عبد الله عبد الرازق إبراهيم :الصوفية والمجتمع في غرب أفريقيا، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 1999

- محيي الدين صابر : العرب وأفريقيا – العلاقات الثقافية ، المكتبة العصرية / صيدا بيروت ، ط1- 1987.

- الخليل النحوي : بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم/ تونس،د.ر. ط - 1987.

- الهادي المبروك الدالي : الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب أفريقيا، دار صنين للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1 - 1996.

- عبد القادر سيلا : المسلمون في السنغال - معالم الحاضر وآفاق المستقبل، مطابع الوحدة الحديثة، ط 1 - 1986، سلسلة كتاب الأمة) 12..

- جيم عثمان درامي : قراءة في كتاب شريفو نهاية الليل، مجلة الصحوة السنغالية، ع 28/ ديسمبر – 1999.

- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي/ القاهرة، د ر ط- 1999.

- حسن الباش: الاستعمار ودوره في محاربة اللغة العربية، صحيفة الدعوة الإسلامية/ طرابلس، ع 657.

- شوقي الجمل وآخر : الوثائق التاريخية - دراسة تحليلية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات/ القاهرة .

- عبد القادر زيادية: أثر الفرنسيين في القضاء على مكانة اللغة العربية في أفريقيا الغربية، مجلة المؤرخ العربي/ بغداد، ع 15، س 1988.

- عمر محمد صالح : المرجع السابق، ص 506. والخليل النحوي: المرجع السابق، ص 346.

- عمر محمد صالح: الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي. مؤسسة الرسالة بيروت.

- عون الشريف قاسم : الإسلام والعربية في السودان، دراسات في الحضارة واللغة، دار الجيل/ بيروت - دار المأمون/ الخرطوم، دون معلومات النشر.
- لوثروبستوتارد:LothropStottard - حاضر العالم الإسلامي، نقد. شكيب أرسلان، دار الفكر العربي، د.ر. ولا م.ط.
- محمد سعيد ولد همدي : موريتانيا في مواجهة عبر القرون مع أوروبا، تر. محمد ولد محمد المختار، مجلة التعليم، ع 28، س 1977.
- محمد صالح يونس : العرب وأفريقيا - علاقات قديمة ومصير مشترك، صحيفة الدعوة الإسلامية، تصدرها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/ طرابلس - ليبيا، ع 601.
- محي الدين صابر : العلاقات الثقافية بين إفريقيا والعرب، ندوة العرب وإفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1987.
- انظر مهدي ساتي: دارات تحفيظ القرآن الكريم في السنغال، مجلة دراسات أفريقي، ع 87/ 1990- 1991.
- وعبد الله عبد الرازق إبراهيم : الطرق الصوفية ودورها في نشر الإسلام في إفريقيا، ندوة المسلمون في إفريقيا، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/ طرابلس - 1998.
- أبو بكر خالد باه: تاريخ تطور الثقافة الإسلامية بوادي السنغال، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

- خالد عبد المجيد مرسي : وجعفر حسن : الاستعمار وتكريس الأمية في إفريقيا ، صحيفة الدعوة الإسلامية / طرابلس ، ع 684.
- شيخ عمر دمْ : مقدمة الكوكي لمور قجكومبا جوب، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير/ كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس .
- فرانز فانون :معذبو الأرض، تر. د. سامي الدروبي وآخر، دار القلم/ بيروت، د.ر. ط ولا ت.ط.
- نعيم قداح : أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع/ الجزائر، ط 2 - 1974.
- البرتليالولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، دار الغرب الإسلامي، ط 1 – 1981.
- الشيخ موسى كمرا : الكنز الثمين في الجهاد بعد التبيين من يختار الظهور وملك البلاد ولا يبالي بمن هلك في جهاده من العباد. حققه أحمد الشكري وخديمأمباكي. منشورات معهد الدراسات الأفريقية، الرباط – المغرب.

المصادر الأجنبية:-

1. Yvonne Turin: Affrontementsculturels dans l'Afriquecoloniale, centre national de la recherchesscientifiques/ Paris1971, p 210.
2. Mamadou Ndiaye: L'enseignementaraboislamique au Sénégal, centre de recherche sur l'histoirel'art et la culture islamique/ Istanbul- 1985, P 96-97.